التعزيزات التربوية والمعرفية واللسانية والسياسية العقلانية:

سبيل الأمازيغية إلى الترسيم وتحقيق المواطنة اللغوية.

Rational Educational, Cognitive, Linguistic and Political

Path to Amazigh Delineation and Linguistic Enhancements: Citizenship

د. الأخضر سعداني / أستاذ محاضر (أ)

قسم اللغة والأدب العربي. جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي- الجزائر

Sadani-lakhdar@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2020/04/09 **تاريخ القبول:** 2020/04/20

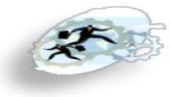

الملخص:

تطرح مقالتي جملة من الجوانب المتعلقة بتهيئة اللغة الأمازيغية في الجزائر. وهي تهيئة ذات أبعاد نفسية وتنظيمية وسياسية ولغوية. وهي في مجملها تقتضي عامل الزمن والانتظار والمثابرة. ولا مجال للقول بالتعجل في ترسيم الأمازيغية بالمعنى الذي يقول:"إنها قد أينعت وحان قطافها". مشروع الأمازيغية في الجزائر المعاصرة، منه ما هو بعث للثقافة الأمازيغية واستمرار في النضال لأجل إحيائها. ومنه ما هو نشرها واعتبارها لغة وطنية. ومنه ما هو مرادف للحركة البربرية، يروم الانسلاخ من صفتي العروبة والإسلام بكل الأشكال، ويعمل على القول بامتلاك تاريخ وعرق مميزين، يفصلانه عن الهوية العربية الإسلامية، متنكرا لأربعة عشر قرنا من انتماء أصوله إلى سكان شمال أفريقيا الذين كانوا أمازيغ عربهم الإسلام، وافتخروا بذلك، وصنعوا التاريخ تحت عنوان الهوية العربية الإسلامية. أما الشق الثقافي فهو ينشط من حيث اعتباره مشروعا وطنيا، يأخذ مشروعيته من قرار الرئيس، ودستوره في الدستور، وتحت رعاية نخبة من الجزائريين المتخصصين، وغيرهم من النشطاء في سبيل تنمية وترقية وتوحيد الأمازيغية.

الكلمات المفتاحية: معيرة اللغة; تهيئة اللغة الأمازيغية; اللغة المعيارية; الهوية; التخطيط اللغوي.

Abstract :

My article is to follow a number of aspects of multidimensional, psychological, organizational, political and linguistic preparations, in contemporary Algeria. The Tamazight project is multifaceted . From this is what is sent to Amazigh culture and the continuation of the struggle for revival, dissemination and take into consideration as a national language.

And from the same project what is synonymous with the barbaric movement which wants to disengage from the class of Arabism and Islam in all forms .
And works to say that having a distinctive history and race, separating himself from the Arab Islamic identity arabized by Islam, and his ancestors were proud of it. They made history under the banner of Arab Islamic identity.
The cultural aspect is active in terms of being considered as a national project, taking its legitimacy from the President's decision, and constitutionalized in the Constitution under the auspices of a group of Algerian specialists, and other activists in the development, promotion and unification of Amazigh.
It is a project that requires hard work, patience, honesty and good will. It also requires the recall of Algerian parties that make the decision as well
key words :*Standardization of language ; Creating the Amazigh language;Standard Language;Identity; Linguistic Planning.*

البحث:

تتضافر مدلولات العناوين المشكلة لهذه المقالة وتلتقي لتصب في بوتقة واحدة هي السعي إلى التهيئة اللسانية الحقيقية التي تجعل من الأمازيغية في الجزائر بالحق لغة وطنية ورسمية بالمفهوم الذي لا يضيّع الجهود سدى، ولا يستنزف أموال الدولة والشعب بلا طائل، ولا تطل به الخيبة علينا، بعد أن يتبين ما يؤول إليه المشروع من انزلاقات أو خسران، لا قدر الله.

الوضع اللغوي التعددي في الجزائر:

يشتمل الوضع اللغوي للجزائر الحديثة لغات وطنية وأخرى أجنبية، وهي كما يلي:

1. اللغة العربية: وهي لغة الدين، ولغة وطنية ورسمية للبلاد، مجالها المؤسسات التعليمية والإعلامية، وهي لغة مكتوبة، تتفرع عنها لهجات محلية شفهية.[1]
2. اللغة الأمازيغية: وهي لغة وطنية ورسمية،[2] تنشط في المؤسسات التعليمية والإعلامية، وليست منتشرة في كل ولاية من الوطن. وأصبحت لغة مكتوبة، ولها لهجات محلية.
3. اللغة الفرنسية: لغة أجنبية موروثة عن عهد الاستعمار، بيئتها المؤسسات التعليمية، وعائلات فرانكفونية.
4. اللغة الانجليزية: لغة أجنبية فرضتها العولمة، أي التطور العلمي والتكنولوجي. ومحيطها المؤسسات التعليمية أيضا. [3]

واللغتان العربية والأمازيغية فقط لغتان وطنيتان رسميتان، تمثلان رمزا من رموز الهوية الوطنية والثقافة الجزائرية.

التعايش اللغوي المنشود:

لابد أن نتصور العلاقة بين الأمازيغية والعربية في سياق تعايشي، يبتعد عن مفهوم إقصاء البعض للبعض، ومن ثم تكون كل من اللغتين قد أثبتت ديمقراطيتها. وفي ظل مراعاة ذلك التعايش التاريخي الذي يجمع بينهما على أساس أن العربية لغة رسمية، وهي لغة القرآن، وأن الأمازيغية هي الأخرى لغة تعيش جنبا إلى جنب مع العربية لها مجالها الوظيفي. ولم يعرف التاريخ الإسلامي لشمال أفريقيا أي مشكل مفتعل من شأنه تفتيت نسيج الوحدة واللحمة بين العربية والإسلام والثقافة الأمازيغية. إن الذي نحتاجه فعلا هو حسن التوظيف للغتين والحفاظ عليهما وترقيتهما. وهذه هي الفكرة التي طرحها الدكتور صالح بلعيد في قوله: " ومن هنا اعتقد أن المسألة اللغوية عندنا تكون معالجتها الناجحة في إطار تطبيق مفهوم التعددية المندمجة، أي الاندماج المؤسساتي الحامي لممارسة الحقوق اللغوية والثقافية للمجتمع. لا يطرح فيها الخيار اللغوي الأجنبي، ولا تكون لغة من اللغات محل تفاضل، بل التوظيف هو الذي يضع التصنيف بصورة عفوية". [4]

إن مفهوم التعايش بين اللغة العربية الأمازيغية يفند مقولة الصراع بينهما، وهي فكرة أصبحت مطروحة في المشهد اللغوي الجزائري المعاصر. إن التاريخ اللساني للجزائر يشهد على فكرة التعايش اللغوي الذي تعامل به سكان البلاد المغاربية عندما قدم عليهم بنو هلال وبنو سليم في القرن العاشر الميلادي، فأدى ذلك إلى أن أنتج الأمازيغ لغة تخاطب مشتركة متوافقة مع تواجد القبائل العربية، فكانوا بذلك الصنيع قادرين على التعايش والتأقلم، بعيدا عن الصراعات.وقد عبر عن فكرة التعايش السلمي اللساني للقبائل الأمازيغية مع اللغة العربية للقبائل العربية الوافدة، عبد الرزاق دوراري، وهو مدير المركز الوطني البيداغوجي لتعليم ثمازيغت:" كان البربر في كل مراحل تاريخهم متفتحين على اللغات الأخرى...منذ قدوم بني هلال طبلة القرنين العاشر الميلادي (10) والثالث عشر الميلادي(13)، تحولت لغات المغرب الكبير من الأمازيغية المختلفة إلى ما يسمى بالعربية المغاربية" أصبحت لهم لغة أمّا، تكونت لضرورة الديناميكية الاجتماعية، وتختلف هذه اللغة المغاربية من حيث البنى اللغوية عن العربية الفصحى أو العربية التي يتعلمونها في المدارس. [5]

التخطيط اللغوي:

التخطيط لغة مصدر خطط. جاء في معجم لسان العرب الخط: الطريق المستطيلة في الشيء. ويقال فلان يخط في الأرض إذا كان يفكر في أمره ويدبره.[6]

وفي الاصطلاح التخطيط اللغوي هو فرع من علم الاجتماع اللغوي، يعنى بدراسة لغة في علاقتها بغيرها ومدى تأثير كل منها في الأخرى، كما يعنى بدراسة المشكلات التي تواجه لغة ما، كيفما كانت المشكلات لغوية بحتة كتوليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها، أو كانت مشكلات غير لغوية، كأن تكون متصلة بنوع استعمالها.[7]

ومن الباحثين من يربط بين التخطيط اللغوي والسياسة التربوية مثل خولة طالب الإبراهيمي حيث تقول:"إن التخطيط اللغوي...منهجية تنظيم اللغات الموجودة وتحسينها وإنشاء لغات مشتركة جهوية أو وطنية أو دولية." [8]

والباحثة بهذه النظرة للتخطيط اللغوي، هي تربطه بالمجال التربوي، وبعبارة أخرى هي تسلكه في السياسة اللغوية لبلد من البلدان؛ إنه من المستبعد أن نجد إسهاما علميا يعالج التخطيط اللغوي دون أن توافق عليه سياسة البلد.

لهذا يمكن للسياسة اللغوية ومن ورائها التخطيط اللغوي أن تعمل على التأثير في شكل اللغة الوطنية ويقع ذلك على ثلاث مستويات:

1. مستوى الخط: ويتعلق الأمر بابتداع خط للغة شفهية او تعديله، أو أن تغير أبجديتها.
2. مستوى المعجم: وهنا يمكن خلق وحدات معجمية تضاف إلى اللغة الوطنية عن طريق الاقتراض او التوليد، لكي تعبر بها اللغة عن معان كان يعبر عنها بلغة أخرى مثل مفردات السياسة والاقتصاد والطب...
3. مستوى الأشكال اللهجية: عندما ترتقي اللغة المخطط لها إلى لغة وطنية، ويكون لها أشكال مختلفة باختلاف المناطق، إما أن يختار واحد من هذه الأشكال، أو يخلق شكل جديد يأخذ من جميع اللهجات. وتستطيع سياسة البلاد أن تتدخل في العلاقات بين اللغات إذا تعددت اللغات في البلد.[9]

ونذكّر هنا بأن الأمازيغية المعيارية الجزائرية هي لغة معيارية للغات الأمازيغية المتحدثة في الجزائر. وهي قيد التطوير من طرف الأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية بعد ترسيم الأمازيغية في 2016م. ومعيرة اللغة يستند إلى حد كبير على أعمال مولود معمري[10]: le dictionnaire et le précis de grammaire berbère kabyle.

التهيئة اللسانية الأمازيغية المنجزة في ظل التعايش اللغوي:

التهيئة اللغوية انطلاقا من التسمية هي أفعال متعددة تطلب الجهد والحيز الزماني الذي تنجز فيه.

ويتصل هذا المفهوم بالمجتمعات ذات التعددية اللغوية، وهو يعني كل الجهود التي يبذلها المجتمع- ممثلا في رأس هرمه - طالبا بها تعديل الألسنة التي يتكلمها، من أجل رفع مكانتها أو تطوير مدونتها. أو تعني:" البحث، والترتيب المنظم للحلول المقترحة، والخاصة بمشكلات لسانية ما، والمطروحة في جماعة معطاة، وهي عموما متعددة اللغات." [11] أو التهيئة اللغوية هي أن تأخذ لهجة ما مرتبة اللغة المعيارية أو الرسمية...ويتعلق الأمر ببنية اللغة ذاتها؛ من حيث الإثراء بالمفردات العلمية والتقنية والفنية، وكذا عملية المعيرة.[12] ينطبق هذا التقديم النظري على ما يجري انجازه وما يزال بخصوص الأمازيغية المعيارية الجزائرية، فهي لغة معيارية للغات الأمازيغية

المتحدثة في الجزائر. وهي قيد التطوير من طرف الأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية بعد ترسيم الأمازيغية في 2016.

وبالنسبة للجزائر، فإنه إثر إضراب مفتوح، دعا إليه ناشطون أمازيغ، قرر الرئيس الجزائري اليمين زروال، سنة 1995، إنشاء ما عرف بـ"المحافظة السامية للأمازيغية". وقد اضطلعت بمهام "ترقية الأمازيغية لدمجها في المناهج التعليمية ."

وتقدم المحافظة استشارة للرئيس الجزائري حول تطوير الأمازيغية، كما تكلف بمهمة الإسراع بترقية الأمازيغية ودمجها في النظام التعليمي والإعلامي والسياسي.

وقد قامت المحافظة بعدة أمور من أبرزها:

1. إدخال الأمازيغية في النظام التعليمي الأساسي والثانوي عبر الولايات بالتدريج.
2. فتح فرع لشهادة البكالوريا في الأمازيغية.
3. تأطير أكثر من 200 أستاذ جامعي.
4. تخصيص نشرات إخبارية بالأمازيغية، في التلفزيون الجزائري.

كما صارت اللغة الأمازيغية تستعمل في نقاشات مجلس الأمة (البرلمان الجزائري)، ويسعى نشطاء الجمعيات الأمازيغية البالغ عددها أكثر من 6 آلاف جمعية إلى ترسيم اللغة الأمازيغية من خلال النص على أنها لغة رسمية في الدستور الجزائري[13].

ولا يزال النشطاء الأكاديميون والإعلاميون والمثقفون يواصلون نشر وترقية الأمازيغية لغة وثقافة وفي الإدارة والجامعة والتعاملات الرسمية . ويتوسع نفوذها في مختلف الوزارات.

ثم تم تعديل الدستور الجزائري في فبراير 2016م، لتنص المادة الرابعة منه على ما يلي:

1. ثمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية.
2. تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني.
3. يُحدث مجمع جزائري للغة الأمازيغية يوضع لدى رئيس الجمهورية.
4. يستند المجمع إلى أشغال الخبراء، ويكلّف بتوفير الشروط اللازمة لترقية ثمازيغت قصد تجسيد وضعها كلغة رسمية فيما بعد. [14]

الجهود في هذا الصدد تتكاثف مثل ترجمة الأعمال الأدبية إلى الأمازيغية، وترجمة النصوص الرسمية والقانونية، وإضافة القنوات الفضائية المتكلمة بهذه اللغة، وربما بعض الاجتهادات في عالم الحوسبة، مثل غوغل ترانسلايتر.

التعايش اللغوي المنشود:

لابد أن نتصور العلاقة بين الأمازيغية والعربية في سياق تعايشي، يبتعد عن مفهوم إقصاء البعض للبعض، ومن ثم تكون كل من اللغتين قد أثبتت ديمقراطيتها. وفي ظل مراعاة ذلك التعايش التاريخي الذي يجمع بينهما على أساس أن العربية لغة رسمية، وهي لغة القرآن، وأن

الأمازيغية هي الأخرى لغة تعيش جنبا إلى جنب مع العربية لها مجالها الوظيفي. ولم يعرف التاريخ الإسلامي لشمال أفريقيا أي مشكل مفتعل من شأنه تفتيت نسيج الوحدة واللحمة بين العربية والإسلام والثقافة الأمازيغية. إن الذي نحتاجه فعلا هو حسن التوظيف للغتين والحفاظ عليهما وترقيتهما. وهذه هي الفكرة التي طرحها الدكتور صالح بلعيد في قوله: " ومن هنا اعتقد أن المسألة اللغوية عندنا تكون معالجتها الناجحة في إطار تطبيق مفهوم التعددية المندمجة، أي الاندماج المؤسساتي الحامي لممارسة الحقوق اللغوية والثقافية للمجتمع. لا يطرح فيها الخيار اللغوي الأجنبي، ولا تكون لغة من اللغات محل تفاضل، بل التوظيف هو الذي يضع التصنيف بصورة عفوية". [15]

أن مفهوم التعايش بين اللغة العربية الأمازيغية يفند مقولة الصراع بينهما، وهي فكرة أصبحت مطروحة في المشهد اللغوي الجزائري المعاصر. إن التاريخ اللساني للجزائر يشهد على فكرة التعايش اللغوي الذي تعامل به سكان البلاد المغاربية عندما قدم عليهم بنو هلال وبنو سليم في القرن العاشر الميلادي، فأدى ذلك إلى أن أنتج الأمازيغ لغة تخاطب مشتركة متوافقة مع تواجد القبائل العربية، فكانوا بذلك الصنيع قادرين على التعايش والتأقلم، بعيدا عن الصراعات.وقد عبر عن فكرة التعايش السلمي اللساني للقبائل الأمازيغية مع اللغة العربية للقبائل العربية الوافدة، عبد الرزاق دوراري، وهو مدير المركز الوطني البيداغوجي لتعليم ثمازيغت:" كان البربر في كل مراحل تاريخهم متفتحين على اللغات الأخرى...منذ قدوم بني هلال طبلة القرنين العاشر الميلادي (10) والثالث عشر الميلادي(13)، تحولت لغات المغرب الكبير من الأمازيغية المختلفة إلى ما يسمى بالعربية المغاربية" أصبحت لهم لغة أمّا، تكونت لضرورة الديناميكية الاجتماعية، وتختلف هذه اللغة المغاربية من حيث البنى اللغوية عن العربية الفصحى أو العربية التي يتعلمونها في المدارس. [16]

استياء النخبة والعامة من قرار ترسيم الأمازيغية:

من الملاحظ في سلوكيات فئات كثيرة من المجتمع وجود عدائية أو نفور من قرارات اتخذتها الرئاسة وسجلت في الدستور الجزائري. الشعب أحس بأنه همش وأغفل دوره السيادي في حسم قضية مصيرية، وأي قضية. وذلك حين قرر المجلس الدستوري ترسيم اللغة الأمازيغية كلغة رسمية ثانية في الجزائر. وتظل العربية الرسمية للدولة . تم إقرار الأمازيغية لغة رسمية بموجب التعديل الدستوري لسنة 2016 من خلال الفقرة الأولى من مادته الرابعة التي أكدت أن تمازيغيت هي كذلك لغة وطنية ورسمية، كما تم تعديل المادة الثالثة من نفس الدستور التي نصت فقرتاها الأولى والثانية بأن: اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية.

ومنذ أن وقع هذا الترسيم، والجدل قائم حول مكانة هذه اللغة في الدستور، والآثار المترتبة عن الاعتراف بها كلغة رسمية إلى جانب العربية. إلا يتطلب هذا الموقف الشعبي وقتا حتى يهضم هذه

المسألة ويدرك قيمة الترسيم ثم يذوب جليد الغضب؟ لاشك أن علاقة قرار الترسيم بموقف الشعب الجزائري تمر بحملات شرح وتوعية، على رأسها وجود إرادة قوية ونية صادقة من طرف أجهزة الدولة تتمثلان في استحداث هيئة دستورية هي المحافظة السامية للأمازيغية.ولا شك أن حملات الشرح والتوعية هي جزء من أعمال هيئة الخبراء والإعلام معا؛ " استحداث هيئة دستورية تضم خبراء جزائريين مختصين يناط بها دور العمل، على تطوير وترقية اللغة الأمازيغية لتصبح فيما بعد لغة رسمية. فالرسمية، دستوريًا، مشروطة، بقيد موضوعي وقيد زمني. القيد الموضوعي يتمثل في العمل على ترقيتها أولا، وتوحيدها، ومن ثم العمل على نشرها في مختلف ربوع الوطن. أما القيد الزمني، فهو بديهي، ناتج عن تطور وتوحيد اللغة الأمازيغية، لكي لا يحدث التباس أو صعوبات في تطبيقها، حيث يجب الإشارة هنا لمسألة مهمة في هذا الخصوص، وهي أنّ اللغة الرسمية في أي دولة لا بد أن تكون سهلة التواصل بين غالبية الشعب. فلا يمكن فرض لهجة على حساب لهجة، بل يجب ترقيتها أولاً، لكي تكون عاملاً مهما في لمّ اللحمة الجزائرية وليس العكس. [17]

في منطقة تيزي وزو البربرية اندلعت في عام 1980 مواجهات عنيفة بين المتظاهرين وقوات الأمن. وكان المتظاهرون يطالبون بأحقية إحياء الثقافة الأمازيغية البربرية. ويطلق على ذلك الحدث اسم الربيع البربري.

وكانت النخبة المثقفة البربرية ذات نفس عدائي للعروبة والإسلام. وتدعي هذه النخبة أن الشعب الجزائري بربري له ثقافته ولغته الخاصتان به. ويجب تطويرهما وإحياؤهما. ومن أبرز رموز الدعوة البربرية الكاتب مولود معمري الذي عينته فرنسا على رأس الأكاديمية البربرية في باريس، والدكتور سعيد سعدي الذي أصبح في وقت لاحق زعيما للتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية وهو حزب ينهض على أساس عرقي ولغوي [18].

ويؤكد الدكتور أحمد بن نعمان ذاك النفس العدواني للعروبة والإسلام في مؤلفه:"فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر"بقوله: ...أن الحركة البربرية هي صنيع الفرونكوفونية في الجزائر بلا منازع وبؤرتها الجزائر دون بقية بلاد المغرب العربي. وما كان لهذه الحركة أن تأخذ حجما عملاقا في الجزائر لولا العزم والحزم الملاحظ في مجال تعريب التعليم في الجزائر، بكيفية لو تواصلت على نفس الوتيرة دون اصطناع عراقيل مماثلة من الداخل، لتحقق الاستقلال اللغوي عن الفرنسية في جميع مراحل التعليم وتخصصاته، ولانتقلت عدوى الاستقلالية إلى بقية البلاد المغربية التي ما تزال الفرنسية فيها هي سيدة التعليم. ويسوق دليلا آخر لعلاقة الحركة البربرية بالفرونكوفونية هو أن كل دعاتها في الجزائر هم من الكتاب بالفرنسية، أو على أقل تقدير متعلمون في المدارس الفرنسية المشيرة بالمسيحية لا يجهلون العربية فقط بل يناصبونها عدوانا صليبيا. [19]

ومما قد يشير أيضا إلى إمكانية العداوة للعربية ما أكده كاتب أمازيغي مغربي في سياق الإدلاء ببعض الحقائق التاريخية الصادمة لدعاة الأمازيغية، حيث قال: لا وجود لحرف اسمه التيفيناغ، بل هذه الحروف جلها أنشئت إنشاء. ...هذا كله مع أن أجدادنا الأمازيغ كتبوا الأمازيغية بالحرف العربي وكفى. مثلهم مثل العجم من الترك والهند والكرد...كلهم تبنوا الحرف العربي. وهناك مخطوطات في التفسير والشعر والعقيدة بالأمازيغية بالحرف العربي...[20]

فان صحت هذه الحقيقة فإنها تنم عن عزوف وكراهة لكل ما له صلة بالعربية. ويتداعى ما يذكر من أسباب سهولة هذا الكتابة المختارة. كما أنها ستسفر عن ثقة شعب استأمنهم عليها لخدمة قضية الأمازيغية، ثم أسفرت عن خدعة وغش، مورسا في حق الشعب الأمازيغي.

إذن لا يغيب عن ذهن الشعب هذه الحقيقة وهي أن الذين ينشطون في سبيل الحركة البربرية هم فرونكوفونيون ينطوون على عداوة صريحة للعروبة والإسلام. وهما أجلّ ما يمثل هوية الشعب، وما تربت عليه أجيال متعاقبة، تؤمن كما آمن ابن باديس وزعماء الحركة الوطنية بأنهما جوهر الهوية الجزائرية وضمان الوحدة الوطنية.

معضلة تعدد اللهجات البربرية:

في الجزائر أكثر من عشر لهجات متداولة في التراب الوطني. وهي فروع عن البربرية المندثرة. وهنا يطرح السؤال التالي: أي هذه اللهجات يصبح لغة رسمية. لا شك أن ذلك سيؤدي إلى الخلاف الذي يتم الوفاق فيه باختيار لغة أجنبية، ولا تكون إلا الفرنسية كبديل جاهز في كل وقت.[21] وأن الشعب يتخوف بطبيعة الحال من المصائر المجهولة، بل المحسومة مسبقا، ومحسوبة نتائجها من بداية الطريق.

إن تخوفات وتوجسات الأفراد والفئات الشعبية تكون في محلها، وتناصب قرار ترسيم الأمازيغية العداء عن تبصر، كل ذلك إذا تم في غياب أو فتور إرادة وقدرة ورعاية الدولة في إطار سياسة لغوية رشيدة، تنتج أمنا لغويا، وتضمن مواطنة لغوية حقيقية، وتنمية مستدامة في كنف الأمن العام للبلاد.

التحضير للتعايش في كنف تعدد ثقافي ولغوي:

إن الوضع الثقافي الجزائري مصدر غني ومعقد، يقتضي معاينة مسؤولة وجدية ودراسة ميدانية علمية من اجل الوقوف على التطورات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع الجزائري، ومن ثم إنشاء قنوات اتصال تربط العلاقة بين مختلف النخب والفعاليات الثقافية، وتعمق المصالحة مع الهوية الجزائرية ومع الذات والذاكرة والتاريخ القديم والحديث، وتعليم الناشئة والشباب بأن التنوع والتعدد والاختلاف يجب أن يكونوا من عوامل الانسجام والاندماج الثقافي...كما يجب أن يتحرزوا ممن يعدهم عوامل تفريق وتشتيت. وان كان هذا المسعى يبدو صعبا أو مستحيلا، فانه يكون سهلا إذا توفرت النية الصادقة والصبر والالتزام. وبعبارة أخرى فان هذا المسعى يتطلب

شخصيات وطنية مثقفة وقوية ومحترمة من قبل الجميع تمد تلك الجسور وتوفر التحاور بين الجميع في ظل فكر منفتح، تبتعد أثناء ذلك عن الاستفزاز والتحزب والتعصب الإيديولوجي. ويجب أن تتدعم تلك المساعي بتنظيم تبادل ثقافي مكثف عبر ولايات الوطن كالأسابيع الثقافية والرحلات المنظمة للشباب بين القرى والمدن، والتنقل للدراسة في جامعات بعيدة الولاية إلى غير ذلك من الأنشطة والإعمال التي ترفع من الحس الوطني وتقوي الشعور بالانتماء للوطن الواسع المتعدد الملامح الثقافية. وأما اللغة العربية فلا بد من تعميمها في التعليم الجامعي وجعلها لغة التخصصات العلمية بما تسمح به شروط النجاح لهذه العملية الإستراتيجية. وبالموازاة ينبغي ترقية اللغة الأمازيغية بما يرفع من شانها كلغة وطنية ورسمية في الجزائر، ويجب دمجها في الحياة التربوية والثقافية في كافة القطاعات على التراب الوطني. [22]

وإن الشروع في هذا التعايش الثقافي واللغوي لا نتصور تحقيقه بين يوم وليلة. إنه برنامج طموح وعميق وواسع، يتطلب إشاعة ثقافة الحوار، والتسامح واحترام الخصوصيات الثقافية للآخر، ويتطلب جهودا مضنية وأرصدة مالية وجهازا من العاملين وحراس المشروع وتأمين طريقه من المتربصين به. كما يتطلب زمنا طويلا قد يستغرق حياة أجيال. وإن مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة. فلا مانع من أن تدخل رحلة التعايش حيز التنفيذ، في كنف دولة ديمقراطية وتعددية.

شكوك تلقي بظلال العبثية، وتنال من الطمأنينة إزاء المشروع الأمازيغي:

إن معركة" توحيد ومعيرة الأمازيغية"، معركة تقودها النخبة داخل الحركة الأمازيغية. وهي بالنسبة للتعددية في الهوية اللغوية لسكان شمال أفريقيا هي معركة حياة أو موت سواء بالنسبة للغات الأمازيغية الواسعة الانتشار، أو المهمشة. يقول محمد الكوخي في مقال له بعنوان:"الأمازيغية المعيارية بين اختلاق لغة جديدة وصناعة الوهم الأيديولوجي" ناقلا لقول الباحث الجزائري سالم شاكر الذي يعتبره صاحب موقف جاد في المسألة الأمازيغية: " إن فكرة اللغة الموحّدة في مجموع التراب الشاسع الذي تنتشر فيه، وعند جميع متكلمها هي مجرد سراب، وإن من الخطورة بمكان التفكير في إنشاء أمازيغية كلاسيكية ...ستكون بلا شك بعيدة عن الاستعمال اليومي"[23]

يتنبأ الباحث محمد الكوخي، وهو ما نراه أيضا: إننا سنكتشف بعد سنوات إننا أضعنا وقتا طويلا وجهدا كبيرا وتمويلا ضخما على مشاريع وهمية تتعلق باللغة الموحدة" ولا تعبر إلا عن أعراض انحرافات أيديولوجية لنخب تحلم بنقاء العرق واللغة والثقافة والتاريخ. ومن بعدها سنكتشف أن وضعية اللغات الأمازيغية المتداولة سارت نحو الأسوأ، وزاد تهميشها وإقصاؤها عن المجال العام، لفائدة لغة نخبوية جديدة صنعت في المختبر ولا يعرفها أحد. وسيثور عليها الناس بردة فعل طبيعية ومتوقعة متمثلة في التهميش واللامبالاة بها. ويصبح الناطقون بالأمازيغية أميين في لغاتهم ومطالبين بمحو الأمية، غير أنهم لن يفعلوا ذلك وإنما يقابلون تلك اللغة الجديدة

بالتجاهل التام والمقاطعة الشعبية. الشيء الذي يحوّلها إلى لغة غير متداولة وميتة في أحسن الأحوال. وبعد هذا هل يحق لنا أن نحلم بلغة أمازيغية موحدة كلغة حية؟ [24]

في التاريخ الأوروبي المعاصر يوجد مثال حيّ عن عبثية قرار نخبة ثقافية بصناعة لغة جديدة خارج السياق الاجتماعي والتاريخي لنشوء وتطور اللغات وحاضنتها الطبيعية، إنه نموذج اللغات الاصطناعية التي تعدّ أنجعها " لغة الاسبيرانطو" التي طورها في آخر القرن التاسع عشر مجموعة من المثقفين والأدباء في أوربا من لغات مختلفة، منها الفرنسية والايطالية والاسبانية والانكليزية والألمانية وغيرها، كمشروع لغة عالمية جديدة يمكنها أن تصير لغة التواصل بين جميع البشر. وقد قام هؤلاء بنشر أعمال أدبية كثيرة، وخلفوا تراثا أدبيا وفكريا متميزا على مدى حوالي قرن ونصف. لكن انتهت الأشواط بهذه اللغة إلى التقوقع والانحسار بين بضع مئات من الأفراد. والسبب هو أنها مصطنعة لا طبيعية، ليس لها قاعدة بشرية تحتضنها وتتطور بطورها. ولم يشفع لها ما ترجم إليها من نصوص أدبية وقانونية...وما أنفق عليها من وقت وأموال، بل ما عقد عليها من آمال كان أوهاما مغلوطة.

الخاتمة والتوصيات:

التوصية بضرورة مواجهة الدعوات المغرضة المثيرة للفتنة والداعية إلى المثول الاستعماري في بلادنا، وتطبيق الأجندات السياسية لفرنسا وإسرائيل، إنه لا يليق بدولة كالجزائر وبشعب كالشعب الجزائري أن يغض الطرف عن أعمال همجية تمتد إلى العلم الوطني فتنزله، أو تحمل علم الدولة القبائلية المستقلة، أو علم إسرائيل...سواء حدث ذلك في داخل التراب الوطني أو خارجه.

هذه المواجهة لا بد أن تصدر عن جهات رسمية في الدولة وعن المنظمات ذات الطابع السياسي وعن أطياف المجتمع المدني. ولا نكتفي بمجرد نقل الإخبار الخاصة بالحدث، وتجاذب أطراف الكلام فيها عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

لابد أن تفعّل الدولة القنوات التي تساعد الكتلة الشعبية على التعبير عن موقفها في تشريع المؤسسات ذات النشاط المصيري للشعب مثل قرار إنشاء المحافظة السامية للأمازيغية، أو ترسيم الأمازيغية في الدستور المعدل. ولا يعول على كون البرلمان بغرفتيه ممثلا شرعيا للشعب؛ لأنه يمكننا القول بأن القطيعة بين البرلمان والشعب تبدأ مبكرة.

لابد من إيراد مبدأ " الشك لأجل اليقين " في القرارات قبل تنفيذها، والنظر إلى التجارب اللغوية القديمة والمعاصرة المماثلة حتى لا تقع التجربة اللغوية الأمازيغية في فخ الخسران، المحسوب العواقب من بداية الرحلة.

إن الأمن اللغوي والتعايش السلمي في مجتمعنا ذي التاريخ الأمازيغي والإسلامي العربي، لا يمكن تصورهما إلا في كنف الوضوح، والاحترام المتبادل، والإرادة القوية، والنوايا الحسنة، والرقابة الدائمة... حتى لا تكون فتنة، وتكون الجزائر كلها للجزائريين.

قائمة المصادر والمراجع:

1) ياسين بوراس، التعدد اللغوي والتنمية الاجتماعية آفاق التنمية في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ديسمبر 2012م.

2) صالح بلعيد، الأمازيغية تكامل لا تصادم، مقال بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ع:19، 2007، الجزائر.

3) التجاني بولعوالي، هل العلاقة بين الأمازيغية والعربية علاقة تصارع أم تعايش؟ http://www.herspress.com/opinions/12207/.html

4) ابن منظور، لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

5) فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، ط1، عمان.

6) خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ط3، الجزائر، 2007.

7) حسن حمزة، حرب اللغات والسياسة اللغوية مراجعة سلام بزي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أغسطس2008.

8) (le dictionnaire et le précis de grammaire berbère (kabyle), ISBN 13: 9782906659001.

9) Dumont Pierre et Maurer Bruno, sociolinguistique du francais en Afrique francophone

https://www.aljazeera.net

10) المجلس الدستوري، الدستور الجزائري(بتعديل 2016م)، المادة الرابعة منه.

11) صالح بلعيد، الأمازيغية تكامل لا تصادم، مقال بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ع:19، 2007، الجزائر.

12) " خالد شبلي، قراءات أولية في لبّ التحولات الدّستوريّة بالجزائر، المفكرة القانونية، 2016/05/12. http://legal-agenda.com/article.php?id=1553

13) عبد المجيد عبد الرحيم الحاج أحمد، مقال: اثر الفرنسية على اللغة العربية في الجزائر، 2015 https://www.academia.edu/34615419

14) أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، الطبعة 2، 1997، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.

15) المجلس الأعلى للغة العربية، كتاب الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي(أعمال اليوم الدراسي للسداسي الثاني 2018)، من مقال للأستاذ محمد داود، جامعة أحمد بن بله، وهران1.... الهوية والتعدد اللغوي والثقافي في الجزائر: واقع ورهانات.

16) Salem Chaker, Berbères aujourd'hui (Paris :L'harmattan. 1989

17) تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: في اللغة والتاريخ والهوية، العدد7 - المجلد الثاني- شتاء 2014.
https://tabayyun.dohainstitute.org/ar/issue007/Pages/IssueHome.aspx

التعليقات الختامية:

1 ياسين بوراس، التعدد اللغوي والتنمية الاجتماعية آفاق التنمية في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، ديسمبر 2012م، ص332.

2 تم ترسيمها بقرار رئاسي مارس 2016.

3 المرجع السابق، نفس الصفحة.

4 صالح بلعيد، الأمازيغية تكامل لا تصادم، مقال بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ع:19، 2007، الجزائر، ص:23.

5 التجاني بولعوالي، هل العلاقة بين الأمازيغية والعربية علاقة تصارع أم تعايش؟
http://www.herspress.com/opinions/12207/.html

6 ابن منظور، لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 4/ 709.

7 فواز عبد الحق الزبون، دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، ط1، عمان، ص85.

8 خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون والمسألة اللغوية، ط3، الجزائر، 2007، ص190.

9 حسن حمزة، حرب اللغات والسياسة اللغوية مراجعة سلام بزي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أغسطس2008، ص 223.

10 (le dictionnaire et le précis de grammaire berbère (kabyle), ISBN 13: 9782906659001.

11 ينظر: Dumont Pierre et Maurer Bruno, sosiolinguistique du francais en Afrique francophone, p60.

12 ينظر: Martin Robert, comprendre la luiguistique, pp166-167.

13 https://www.aljazeera.net/

14 المجلس الدستوري، الدستور الجزائري(بتعديل 2016م)، المادة الرابعة منه.

15 صالح بلعيد، الأمازيغية تكامل لا تصادم، مقال بمجلة المجلس الأعلى للغة العربية، ع:19، 2007، الجزائر، ص:23.

16التجاني بولعوالي، هل العلاقة بين الأمازيغية والعربية علاقة تصارع أم تعايش؟
http://www.herspress.com/opinions/12207/.html

17 " خالد شبلي، قراءات أولية في لبّ التحولات الدّستوريّة بالجزائر، المفكرة القانونية، 2016/05/12.
http://legal-agenda.com/article.php?id=1553

18 عبد المجيد عبد الرحيم الحاج أحمد، مقال: اثر الفرنسية على اللغة العربية في الجزائر، 2015، ص16.

19 أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية، الطبعة 2، 1997، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.، ص:75، 76.

20عبد السلام أجرير، جريدة هوية بريس الالكترونية المغربية، الباحث الأمازيغي عبد السلام أجرير يكتب: حقائق قد تصدم بعض الأمازيغ،13 يناير2019.http://howiyapress.com

21 المرجع السابق، ص78.

22 المجلس الأعلى للغة العربية، كتاب الأمن الثقافي واللغوي والانسجام الجمعي(أعمال اليوم الدراسي للسداسي الثاني 2018)، من مقال للأستاذ محمد داود، جامعة أحمد بن بله، وهران1،ص38-39.

23 Salem Chaker, Berbères aujourd'hui (Paris : L'harmattan. 1989. p139

24 تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، فصلية محكمة يصدرها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: في اللغة والتاريخ والهوية، العدد7 - المجلد الثاني- شتاء 2014، ص: 45-46.